

فالمثالان العبريان ، يوافقان القواعد السائدة في اللغة العربية ، في أن المضارع في الأول غير معطوف ، والجملة الاسمية في الثاني معطوفة . وهذا من أقدم عادات اللغات السامية في هذا الباب ، والشواذ منها متعددة في العبرية وغيرها ، وهي في العربية أقل من ذلك . وأما الماضي فلا نعرف كيف كان استعماله الأصلي في الجملة الحالية ، والعربية استخدمت حرف التوقع الخاص بها ، وهو : (قد) ، في استئناف الجملة الحالية الماضية ، ملحقا به الواو ؛ نحو : « فانتبه وقد شدُّوه » .

فللحال طريقتان بسيطتان أوليتان ، في اللغات السامية ، هما على نحو : « خرج يستقبلني » و « جاءني وأنا قاعد » ؛ فالأول : متركب من فعلين ، أولهما ماضٍ والثاني مضارع ، وفاعلهما واحد . والثاني : مركب من جملة فعلية ، وجملة اسمية مبتدؤها غير فاعل الفعل . ويحتمل أن يكون أصل الأول : بدل الفعل من الفعل ، وقد ذكرنا ذلك ، فكان يمكننا أن نقول : « خرج استقبلني » ، كما ذكرناه من بدل الفعل من الفعل ، في : « قتلتُ خلاداً رمت عليه رَحَى » ؛ فكان المعنى إذن : « خرج وذلك أنه استقبلني » ، ثم استبدلوا الماضي بالمضارع ؛ لأن المضارع كثيرا ما يدل على فعل مصاحب لآخر متابع له ، فيصير بهذا الاستبدال ، عبارة عن كون الخروج هو أصل الحادثة ، والاستقبال تابع له لمعنى من المعاني ، وهو في مثالنا أن الاستقبال هو غرض الخروج . فنرى من ذلك التحليل ، وأن إبهام معنى الجملة الحالية ، وسعة حيزها من طبائعها الأصلية .

وأما الطريقة الثانية ، وهي : « جاءني وأنا قاعد » ، فهي أقرب إلى الفهم من الأولى ، فعطف الجملتين هو المألوف ، ولا يحتاج إلى تعليل . والجملة الاسمية أقرب إلى معنى الحال من الفعلية ، وخصوصا عند اختلاف المسند إليه في الجملة الثانية عنه في الأولى . والأحوال من طبيعتها إتباع الحوادث ، فلا تحتاج التابعة في مثل هذا إلى عبارة خاصة بها . هذا ما كان عليه الأمر في الأصل ، ثم بعدما كثر مثل : « جاءني وأنا قاعد » ، تعودوا على تلقي هذا التركيب ، أي الجملة الاسمية المعطوفة على فعلية ، بل